عبد الحليم خدام وكلمة السرّ

خيرالته خيرالته إعلامي لبناني

🔳 غاب قبل أيّام في باريس، عن 88 عاما، عبدالحليم خدّام. كان خدّام (أبوجمال)، الذي شعل بين العامين 1970 و2005 موقعي وزير الخارجية ونائب رئيس الجمهورية السورية، إحدى واجهات التركيبة المعقدة التى أنشأها النظام الذي أسسيه حافظ الأسد والذي استطاع توريثه إلى نجله بشّار. كان شرساً في تعاطيه مع الآخرين. كان الرجل الذى اختاره حافظ الأسد لتنفيذ مهمات معيّنة، خصوصا في لبنان حيث لعب دور المفوّض السامي بين .1998 و 1975



كلمة السرّ كانت دائما في مكان آخر، كان يملكها أحيانا ولم يملكها في معظم الأحيان

بقي خدّام، السنّي الذي لا ينتمي إلى إحدى المدن السورية الكبرى التي كان الأسد الأب يكن لأهلها ورجالاتها كرها شديدا، يتحرّك في الهامش الذي رسمه له مؤسس النظام الذي لا يزال قائما إلى اليوم، أقلَّه شكليا.

كان يمتلك كلمة السرّ أحيانا ولا يمتلكها في معظم الأحيان، حتّىٰ عندما وجدّ نفسه على الرفّ بعد لعبه الدور المطلوب منه كرئيس شكلي للجمهورية مباشرة بعد وفاة حافظ الأسد. كان مطلوبا منه اتخاذ إجراءات محدّدة من أجل أن يرث بشّيار الأسد والده. أشرف علىٰ كل الترتيبات السنّى الآخر مصطفىٰ طلاس، وزير الدفاع، الذي نفَّذ التعليمات مؤكَّداً مرّة أخرى أنّه الخادم المطيع لسيّده

رانيا مصطفى

🔳 سوريا.. البلد المنكوب بحرب

واسع وتهجير وتشريد الملايين،

وبانقسامها إلى ثلاث مناطق نفوذ،

ما زالت متنازعا عليها، وتقع تحت

منهار وخدمات شحيحة وانهيار

وسجون مكتظّة؛ سورياً هذه عليها

أن تواجه جائحة تعجز بلدان العالم

المتحضر عن مواجهتها، وقد جمّدت

ومطاراتها وصفقات شركاتها العابرة

للقارات، وحصرت جهودها للتقليل من

ورغم أن للظرف الطارئ، وياء

كورونا، فوائد علىٰ الساحة السورية،

موسكو الموقع في 5 مارس الماضي،

الوباء والاستثمار فيه؛ فهناك سعى

محموم تقوده روسيا والصين لرفع العقويات عن النظام السوري بحجة

مواجهة فايروس كورونا المستجد،

فيما يسعى النظام لتقديم نفسه

صالحا للحكم عبر الإدعاء بقدرة

حكومته على مواجهة الجائحة.

ما زالت الأطراف المختلفة تحشد

في الشيمال السوري؛ النظام السوري

تستقدم المزيد من التعزيزات إلى نقاط

تحشد أنقرة أيضا في ريف حلب

في تل رفعت. ويبدو أن هناك اتفاقا مع

موسكو لتسليم المدينة وريفها لتركيا، مقابل سيطرة روسيا على الطريق

الدولي أم5، وفق اتفاق موسكو الأخير

الطريق الدولي الثاني أم4 بين حلب

فيما تعطي موسكو الفرصة لتأمين

بين الطرفين.

لتهديد الوحدات الكردية المتواحدة

وإيران يستعدان لاستئناف القتال للسيطرة على جبل الزاوية، وتركيا

مراقبتها عبر معبر كفرلوسين.

لكُن أطرافا متعددة تسعى إلى تسييس

حروبها واقتصادها ومؤتمراتها

عدد الضحابا والبحث عن علاج.

من حيث تحميد القتال في إدلب،

وإعطاء فرصة أكبر لإنجاح اتفاق

بير في القطاع الصح

وصابات واحتلالات متعددة وباقتصاد

مستمرة منذ تسع سنوات وبدمار

في السادس عثير من تثيرين الثاني – نوفمبر 1970. لم يجد "أبوجمال" نفسه سوى في وضع المُجبر علىٰ توقيع كلّ

المراسيم المطلوب صدورها عن رئاسة الجمهورية كي تصبح سوريا جمهورية وراثية على غرار كوريا الشمالية. كان "أبوجمال" يدرك أُنَّه كان يوقّع قرارا صدر بإعدامه سياسيا، إِذْ كَانَ يُعْرِفُ أَنَّ كُلُّ الْمُلْفَّاتِ التِّي كان يتولاها، بما في ذلك ملفّ لبنّان، انتقلت عمليا منذ العام 1998 إلى بشّار الأسد والمجموعة المحيطة به. عرفت عبدالحليم خدّام في صيف

العام 1973. فهمت من خلال المناسبة التي شاهدت فيها "أبوجمال" يدخل الأراضى اللبنانية برفقة عدد من رجال الشَّرطة العسكرية السورية أنِّ لدى حافظ الأسد رسالة واضحة بريد توجيهها إلى كلّ لبنان. فحوى الرسالة أن النفوذ السوري صار ثابتا في البلد الجار وأن القرار في البلدين هو قراره.

في صيف 1973، جاء خدّام إلىٰ "بارك أوتيل" في بلدة شتورا البقاعية لعقد محادثات مع فؤاد نفّاع وزير الخارجية اللبناني وقتذاك. كان الهدف المعلن للمحادثات إعادة فتح الحدود ىىن البلدين. أغلق الجانب السوري الحدود بعد محاولة الرئيس سليمان فرنجية في أيّار - مايو من تلك السنة ضبط الوجود الفلسطيني المسلّح في الأراضي اللبنانية وذلَّك بعدماً اعتبر الفلسطينيون نفسهم دولة ضمن الدولة ويعدما أصبحت مخيمات اللاجئين بمثابة جزر مستقلّة كلّيا عن الأراضي اللبنانية.

كان رد الفعل السوري مفاجئا لسليمان فرنجية الذي ربطته علاقة بحافظ الأسد واعتبره حليفا له. لم يدر في خلده أن لدى الرئيس السوري الجديد حسابات تتجاوز العلاقات ذات الطابع الشخصي بين رجلين وعائلتين. كان إغلاق الحدود السورية، مع ما يعنيه ذلك من خنق للبنان

ى، ووراء ذلك محاولة روسي

صينية في المحافل الدولية لاستغلال

وباء كورونا، والمطالبة برفع العقوبات

الاقتصادية، الأميركية والأوروبية، عن

النظام السوري، وتحت شعار "عدم

تسييس كورونا"، استنادا إلى دعوة

الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو

غوتيريش إلى هدنة شاملة وفورية،

والتفرغ إلىٰ العدوّ المشترك، وباء

بأكثر من 3.5 مليون مدني.

كورونا، خاصة أن إدلب منطقة مكتظة

اقتصاديا، من أجل إفهام سليمان علاقة الندّ للندّ. هناك رئيس واحد

ما كشفه لى ضابط لبناني، كان

فرنجية أن العلاقة بحافظ الأسد ليست لبلدين هو حافظ الأسد.

قام عبدالحليم خدّام بالاستعراض الذى كان عليه القيام به في "بارك أوتيل" عبر الشرطة العسكرية السورية التي كانت تؤدي له التحيّة لدى دخوله فندقا لبنانيا، في حين تمّ الاتفاق على إعادة فتح التحدود، بموجب الشروط السورية في مكان آخر وعبر أشخاص آخرين.

يشرف في "بارك أوتيل" على ترتيبات أمنيّة معيّنة لتأمين الاتصالات بين الوزير اللبناني وقصر الرئاسة في بعبدا، أن الاجتماع المهمّ انعقد بين نجل سليمان فرنجية الوزير والنائب طونى فرنجية ورفعت الأسد شقيق حافظ الأسد. عُقد ذلك الاجتماع في فيلا يملكها رجل الأعمال اللبناني المعروف بطرس الخوري في مكان غير بعيد عن "بارك أوتيل"

لا شكّ أن عبدالجليم خدّام كان يمتلك نفوذا في سورياً، خصوصا في عهد حافظ الأسد، لكنّ هذا النفوذ كانّ في إطار رسم له بدقّة متناهية. كان يعرف كلمة السرّ في بعض الأحيان ي فقط. لذلك، لم يتردّد في القول في إحدى المقابلات بعد انشقاقه عن

النظام في العام 2005 إن الجيش السوري تخل إلى الأراضي اللبنانية في العام 1976 من دون استَّتُذان أحد وكان دخوله أوّلا عن طريق "جيش التحرير الفلسطيني" الذي كانت لديه وحدات في الأراضي السورية. لم يكن هذا الكلام يمت إلى الحقيقة بصلة. ما أثبتته الوثائق الرسمية لاحقا أن الجيش السوري دخل إلىٰ لبنان بناء علىٰ طلب من وزير الخارجية الأميركي هنري كيسنجر وبموافقة إسرائيلية وذلك من أحل "ضبط مسلّحي منظمة

كيسنجر نفسه. في كلّ ما له علاقة بالقضايا الكبيرة ذات الطابع المصيري، أُبقى عبدالحليم

التحرير الفلسطينية" على حد تعبير

خدّام علىٰ الهامش. كان يرفع صوته فى وجه السياسيين اللبنانيين تنفيذا لتعليمات صادرة له. تقلّص دوره إلىٰ درجة كبيرة في عهد بشَّار الأسد وانسحب ذلك علىٰ علاقة رفيق الحريري بالرئيس السوري الجديد. لم يستطع خدام سوى تحذير رفيق

الحريري في الأسابيع التي سبقت اغتياله من أن شيئا ما يعدُّ له وأن من الأفضل أن يغادر لبنان. في العمق، إن في عهد حافظ الأسد أو في عهد بشار الأسد، كانت القرارات الكبيرة تتخذ في مكان آخر لا مكان فيها للسنّي، أكان عبدالحليم خدّام أو حكمت الشهابي (رئيس الأركان) الذي أبعد باكرا عنَّ أي موقع نافذ تمهيدًا لخلافة بشَّار الأسد لوالده.

امتلك عبدالحليم خدّام ما يكفى من الشجاعة للمجيء إلىٰ بيروت بعد محاولة اغتيال مروان حمادة في أوّل تشرين الأوّل - أكتوبر 2004 ثم للتعزية باغتيال صديقه رفيق الحريري في الرابع عشر من شباط -

فبراير 2005. تبيّن أن عبدالحليم خدّام إنسان طبيعي لديه مشاعره أيضا، عُلما أَنَّه بِقَى فَى كُلِّ وقت أُسيرِ الدور المرسوم له... وهو دور اقترب من الصفر مع ازدياد روابط اللحمة بين بشّار الأسد من جهة وإيران و"حزب الله" من جهة أخرى.

رجل الهامش

مساسي 5

انكشف "أبوجمال" لدى خروجه من دمشق إلى باريس ليلعب دور المعارض. لم بمتلك أي مقومات تسمح له بأن يكون معارضا. صار خارج المياه التي كان مسموحا له أن يسبح فيها وأن يمارس بعض هوايته من نوع إذلال السياسيين اللبنانيين الذين لم يكن راضيا عليهم تنفيذا لأوامر عليا صادرة إليه. كلمة السرّ كانت دائما في مكان آخر. كان يملكها أحيانا ولم يملكها في معظم الأحيان.

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977 أسسها أحمد الصالحين الهونى

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني مدراء التحرير

مختار الدبابي كرم نعمة حذام خريف منى المحروقي

مدير النشر على قاسم

المدير الفني

سعيدة اليعقوبي

تصدر عن

Al-Arab Publishing House المكتب الرئيسي (لندن) The Quadrant 177 - 179 Hammersmith Road

London, W6 8BS, UK Tel: (+44) 20 7602 3999 Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان **Advertising Department** Tel: +44 20 8742 9262 ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk editor@alarab.co.uk

بأي قوة ستواجه سوريا وباء كورونا الدول الفاعلة في الملف السوري واللاذقية، حيث يتم تسيير دوريات

تركبة فقط، خلافا لنص الاتفاق الذي يحصر أنقرة في مهلة الأسبوع لإبعاد وتسيير دوريات متزامنة على جانبى هذه التهدئة الروسية دعمتها تحذيرات وزير الدفاع الروسى سيرغى شويغو إلىٰ دمشق، في 23 مارس

أغلب المعابر السورية مع دول الجوار، الرسمية وغير الرسمية، كانت مفتوحة حتى وقت قريب أمام الوباء؛ تنتشر الميليشيات الإيرانية في دير الزور، وحركتها غير الشرعية مستمرة بين العراق وسوريا عبر معبر البوكمال؛ فيما تشير التقارير إلىٰ تفشي الوباء في دير الزور، التي أجهزة تنفس صناعي. وقد اضطرت



لم يكن ينقص سوريا إلا كورونا

بمواجهة فايروس كورونا المستحد على جبهاتها الداخلية، حيث ينتشر الوباء في إيران منذ أكثر من شهرين، ن. فيما يتصاعد منحنى انتشاره في كل من روسيا وتركيا، ويهدّد القطّاع الصحى في الولايات المتحدة، وبأزمة اقتصادية كبيرة، في غياب إحصاءات شفافة حول مدى انتشاره في سوريا، شابه في لبنان والعراق.

تعانى من رداءة مستشفياتها، ولا تملك



الميليشيات الإيرانية تنتشر في دير الزور، وحركتها غير الشرعية مستمرة بين العراق وسوريا عبر معبر البوكمال رغم تسرب أنباء

الحكومة السورية إلى حجر بلدة كاملة في ريف دير الزور. ظلت حركة الحجاج مستمرة من إيران والعراق إلى المراقد المقدسة في

دمشق وريفها، حتى ما بعد منتصف الشبهر الماضي، رغم ظهور الوباء في إيران. وأخفى النظام أعداد المصابين، رغم تسرب أنباء عن إصابات بين الميليشيات الشيعية وجنوده. لكنه اضطر إلى عزل منطقة السيدة زينب في ريف دمشق، حيث تتواجد المراقد الشُّبِعِية، وتكتُّطُ المنطقة بالسكان، دون الاعتراف بدرجة تفشى الوباء في تلك المنطقة؛ وبالمثل عزل منطقة منين في ريف دمشق بعد ثبوت إصابات فيها؛ ولا يبدو أنه يملك إحصائبات حقيقية

عن إصابات بين عناصرها

حول انتشار المرض في مناطقه. رغم ضعف إمكاناته الطبية، لكن النظام السوري يراهن على قدرته على تطبيق إجراءات العزل الاحترازي بشكل معقول، منذ أكثر من عشرين يوما، ويزيد من شدتها تدريجيا، مستخدما سلطاته؛ إذ لا يمكن لحملات التوعية التي يقوم بها أن تؤدي دورا في ظل عجزه الاقتصادي، وفقدان مصادر الدخل للمدنيين، الذين يعانى منهم 80 في المئة من الفقر، مع ارتفاع أسعار المعقمات والكمامات الطبية. وهو يعطى المجال لقيادات من المجتمعات المحلية، من الموالين له، لضبط مشكلة التجمعات والتدافع للحصول على الخبز، وقد نجحت في

العديد من المناطق في إيصالها إلى المنازل بأسعار مناسبة، فيما تؤدي نشاطات محلية، وإن بشكل محدود، تقديم سلل غذائية للمحتاجين، عبر حمع تبرعات أهلية؛ ويغيب أي دور للمنظمات غير الحكومية، على كثرتها، رغم استمرار حصولها علىٰ التمويل

الخارجي، وعدم خضوعها للعقوبات. أعلن النظام السوري عن عدد قليل الاصابات بالفايروس، تعلن مناطق الإدارة الذاتية ولا مناطق سيطرة فصائل المعارضة التابعة لتركيا، ولا في إدلب عن إصابات،

لضعف إمكانيات الكشف عنها. طبقت الإدارة الذاتية شرق الفرات إجراءات العزل الاحترازى على شاكلة النظام، وبدرجة أقل في مناطق سيطرة الجيش الوطنى التابع لتركيا، في غصن الزيتون ودرع الفرات ونبع السلام؛ لكن الكارثة الأكبر ستكون في الشمال السوري، في مناطق سيطرة حكومة الإنقاذ التابعة لهيئة تحرير الشام، التي لا تلتزم بتطبيق إجراءات العزل، ولم توقف الصلاة في المساجد حتى قبل أيام، وسط خلافات شرعية حول هذه الخطوة من قبل أنصار الهيئة وخصومها من المنشقين عنها.

الوضع السوري، المتداعى والمفكك، ينبئ بكارثة إنسانية إذا ما تفشيئ المرض في مناطق النفوذ الثلاث، خاصة إدلب التي تفتقد إلىٰ المرافق الطبية وإلى الكوادر الطبية والأقنعة الواقية من الفايروس.

ولا يبدو أن المجتمع الدولي بصدد إيجاد حلول تخصّ الوضع السوري، بسبب انشنغاله بالتصدي للفايروس في بلدانه؛ ورغم أن آلة الحرب خلال تسع سنوات، حصدت مئات الآلاف من الأرواح السورية، ورغم مصرع عشرات الآلاف في معتقلات النظام، إلا أن المجتمع الدولي لم يقم بما يتوجب عليه لحماية المدنيين، لكن تفشي فايروس كورونا، في سوريا، يقوّضَ جهود الدول الكبرى لمواجهة

